(تعدد العاميات في الجزائر عامل وأد للّغة العربية الفصحى داخل المؤسسات التعليمية)

د/ محمد مشري

قسم الآداب واللّغة العربية

جامعة الإخوة منتوري -قسنطينة-

ملخص:

العقوق اللغوي ظاهرة سلبية تميز المجتمعات العربية بصفة عامة لكونها أول من تنكر للغة العربية وقلب لها ظهر المجنّ ليسالم لغة أخرى أجنبية كانت لسان قوم استباحوا الأرض والعرض ولم يرقبوا في الهوية والانتماء الحضاري إلا ولا ذمة؛ لأن الغزاة تركوا خلفهم شعوبا عربية بعد الاستقلال أقواما وطوائف متشرذمة، كل منها بما لديهم فرحون ويتنازعون عن أي لغة ينافحون، ورثوا لسان غيرهم وتنكروا لأصولهم الحضارية عدا أصوات نشاز تنادي بالعودة إلى حاضر الأمة الذي استقوى بماضيها التليد.

وأهم ملمح لتلك الدول أنها فقدت ميزتها اللغوية وتشوهت لديها لهجاتها المستلة من اللغة العربية؛ حيث ظهرت عاميات حلت محلها وعكرت صفو لسانها فالعامية ليست لهجة بل هي خليط بين لغة فصيحة محرفة وبقية لهجة منسية ومجموعة ألفاظ أجنبية مشوهة، تماما كما هو الملاحظ في معجم العاميات في الجزائر التي حافظ فيها الشعب على بقايا من الفصحى وشيء من لهجات قديمة ومزج كل ذلك بلغة أجنبية بل لغات، نمط من التداخل اللغوي واللهجي يغذيه تعدد لغوي سلبي يهدد مستقبل لسان القوم من جهة وفئة المتعلمين من جهة أخرى.

وما هذا المقال الذي نود نشره في المجلة العلمية إلا لتوضيح خطر تعدد العاميات في الجزائر على المنظومة التعليمية وأثر ذلك في اضمحلال مقومات الانتماء الحضاري.

كلمات مفتاحية: العربية الدارجة، العامية، اللهجة، الثنائية اللغوية، التداخل اللغوي، العقوق اللغوي

Abstract:

Linguistic disobedience is a negative phenomenon that distinguishes the Arabic societies in general, being the first that deny the Arabic language in order to adopt another foreign language that was the mother tongue of the people who colonized their land, without considering their identity and civilization; though the invaders left dispersed nations behind after the independence had divided them into folks and communities, feeling proud about the language they have adopted. They have inherited a foreign tongue and betrayed their cultural origins, dissonant

voices Advocating a return to the nation's present that is strengthened by its past.
The most important feature of these countries is that they have lost their linguistic advantage and have distorted their derived dialects from the Arabic language; where colloquial emerged to replace it, because colloquial is not a dialect but a mixture between a distorted standard language, a forgotten accent and a group of indistinct foreign words, exactly as it can be noticed in the Algerian colloquial dictionary where people kept the remains of the standard Arabic and some old accents blending it all in a foreign language, a type of dialectical and linguistic overlap fueled by negative multi-languages which threatens the future of the society's tongue on one hand and the category of educated people on the other.
The purpose from publishing this article in the scientific magazine is to clarify the danger of multi-colloquial in Algeria on the educational system and its effects on the disappearance of cultural belonging.
Keywords: Arabic dialect, colloquial, dialect, bilingualism, linguistic overlap, linguistic disobedience

مقدمة

لا يتواصل المجتمع حضاريا إلا بلغة أصيلة توحد بين أفراده وتجمع شتات فكره فتكون لسان حاله تترجم عن هويته وانتمائه، فالمجتمع إذا بلغ هذا المستوى انزوت رؤيته السلبية لما يبدعه وينتجه فالبصمة للغوية ظاهرة تعكس مدى الحضور النوعي لتلك الأمة أو المجتمع الذي ما فتئ يزيد من تشبثه بلغته المحافظة على قوة أصالته، فكلما ذاد عنها مثلت له أفضل عاصم من التمايه في فكر غيره من المجتمعات التي تتخذ من اللغة خير وعاء لتصدير منتجها الفكري سواء أكان مادي أو معنوي، فلا يظهر تميز أي مجتمع فيما يبدع إذا لم يكن بلسانه الأصيل الذي يكون سفير عن فكر الأمة يعرف بها ويكشف عن هويتها التي لا ينازعها فيها أحد ولا تشترك فيها مع غيرها.

أما إذا شعرت اللغة بالغربة بين أهلها كان ذلك أدعى إلى انحصار دورها الحضاري فلا يؤبه لها في أي محفل أو يلتفت إلى دورها الريادي مهما بلغت مكانته، وهذا ما ينسحب تماما على اللغة العربية في المجتمعات العربية التي ارتضت عنها بديلا؛ إما باحتضان لسان أجنبي آخر أو التمنطق بعاميات هجينة لم تزد العرب إلا فرقة وتشتت؛ فهم أشبه بالصم عند التواصل بينهم عند توظيف عامياتهم المحلية،كل قطر يتراطن بمعجم قلما يفهمه غيره شأنهم في ذلك شأن الأعاجم في الوسط العربي القح،فإذا حزبهم أمر عدم الفهم لجؤوا مطرين إلى اللسان الفصيح يستنجدون به لتبليغ رسالة خطاب ما فهذا اللسان هو عنوان وحدتهم،إلا أن تجاهلهم له وتنائهم عنه ردحا من الزمن جعلهم ينفرون منه ويتحاشون الحديث بمعجمه حيث أضحت العربية الفصيحة بذلك حالها كحال المتبنى في أسرة تنظر إليه نظرة شزراء.

ما يثبت صحة هذا التمثيل هو درجة النبذ الذي بلغته اللغة العربية في مجتمعاتنا رغم كونها لغة القوم الأولى في دساتيرهم، إلا الواقع يؤكد خلاف ذلك، إذ يكشف مستوى الاحتفاء بها تراجعا كبيرا على أنها الوسيلة والغاية في آن واحد، ولا سبيل لفهم هذه المسلمة إلا إذا تم مقارنة ذلك بلغات المجتمعات المتقدمة التي تهتم بتعليم لغة المجتمع الأصيلة وتليها عناية خاصة فلا تقحم معها غيرها في أطوار التعليم الأولى،وتجعل خيار تعلم لغة ثانية في مراحل متأخرة، فيكون اكتساب لغة أخرى من باب البراكماتية لا غير

حتى وإن تجاوز المتعلم هذه المرحلة إلى ما يعرف بالتعدد اللغوي فذلك لن يؤثر على اللغة الأصل التي تبقى مستقطبة لغيرها لا تذوب فيها ولا تشعر بأي نقص اتجاه من يتكلم بسواها، فليست الإزدواجية اللغوية أو التعدد اللغوي شيء سلبي أو معرة بل هما مكسب علمي ينم عن تحضر الفرد، لكن الملاحظ في المجتمع العربي كثرة المتبجحين بالإزدواجية والتعدد المنكرين لمقام اللغة العربية حيث يزدرونها فهذا هو المظهر الأساس للانسلاب الحضاري أو الاستغراب الفكري.

وهناك خطر آخر يتهدد العربية داخل الأوطان العربية يتمثل في انتشار العامية على حساب اللسان الفصيح،حيث احتضن العامة الدهماء من الشعوب العربية هذا اللسان الهجين وتمنطق المثقفون منهم وكذا علية القوم بلغة أجنبية على أنها ترفع من قدرهم وتميز مكانتهم الاجتماعية،فاللغة العربية واقعة بين مطرقة العامية وسندان التعدد اللغوي وأكثر التأثير السلبي على حضورها في التواصل اليومي هو استشراء العامية وطغيانها بشكل كبير أصبح مطلب الحد من توسعها أمرا شبه مستحيل؛لكونها تغلغلت في الأوساط العلمية بوصفها لسان الشرح وتقديم الدروس نظرا لاستعصاء فهم الفصيح على المتعلمين،مما يدفعهم طواعية للاستعانة باللغة الأم وهي العامية التي درجت على الألسنة في كل مقامات الحياة عند التواصل.

استفحلت هذه الظاهرة غير الصحية في المؤسسات التعليمية حتى ظهر من ينادي بالكتابة بالعامية قصد التيسير وسرعة التبليغ فهذا التيار بزغ نجمه عند أولائك المتبنون لفكرة تفصيح العامية هذا مذهب يبدو لأول وهلة حلا وسط،إلا أنه مشروع مبطن لأجل ترقية العامية واستبعاد اللغة العربية الفصيحة تدريجيا، وقد تم لأصحاب هذا التيار ما أرادوا؛لأن الدعوة للعامية ليست بدعة معاصرة آنية فالمشروع قديم بدأ مع النهضة العربية المزعومة التي احتك فيها العرب بالغرب في الهزيع الأخير من القرن التاسع عشر ورواد الدعوة إلى العامية أشهر من أن يلتفت إليهم لكثرة ما تداولت أسماؤهم كتب اللغة،فما كان مشروع أضحى في أيام الناس هذه حقيقة لا مرية فيها يتواص بها الأدعياء علنا في كل محفل ومناسبة،كأن اللغة العربية دخيلة على المجتمعات العربية اقتحمت عليهم ديارهم وقضت مضاجعهم بتبلبل لسانها في أعلى مستويات التعبير عن الإبداع الفكري،حيث أنكروا تدريس العلوم الطبيعية والتقنية بمعجم ألفاظها وإن ناد بعضهم بضرورة التعريب بوصفه حتمية حضارية فرضتها موجبات العودة إلى ما يميز هذه الأمة عن غيرها.

ميزة العامية أنها ليست متعالقة في نمطية معجم ألفاظها،لكونها خليط من لغات ولهجات شتى،ويتفاوت هذا المثلب في الظهور من عامية قطر عربي إلى آخر،فالعامية في الجزائر مثلا فسيفساء متشرذمة من عاميات كثيرة،يصعب لملمة شملها فكل مدينة من مدن الجزائر تتميز عن غيرها بألفاظ عامية لا يفهمها غيرها ناهيك عن الأمازيغية والشاوية والمزابية وكلها تدعي أنها لهجات حرة،إلا أنها مجرد خليط من كلمات محرفة من لغات مختلفة،فطابع اللهجة بمفهومها الاصطلاحي يكاد ينعدم في خريطة العاميات التي تزخر بها الجزائر؛قيمة هذه العاميات لاتنكشف إلا في الأدب الشعبي بذخيرة موروثه الذي تجعله المجتمعات المتحضرة في درجة ثانية لا تصارع به فكرها الحضاري الذي تنافس به بقية الأمم،ولا يمكن لشتاة العاميات أن يطغى على اللغة الرسمية.

إن تعدد العاميات في الجزائر يلغي أي نية للوحدة اللغوية وإن تشكلت مساحة للتواصل باللغة المشتركة التي تعد العربية معينها لولا التشويه والتقويض الذي لحقها من جراء ابتعاد المجتمع عن الفصيح وهذا هو موضوع هذا المقال الذي سيتم فيه تبيان خطر تعدد العاميات على المنظومة التعليمية وأنها سلاح لتقويض صرح اللغة العربية المعبرة عن هوية المجتمع الجزائري يستطيع من

خلالها قراءة تراث أمته التليد ويفهم بوساطتها كتاب دينها الذي ارتضى المستشرقون لسانه طلبا للفصحى فلو كانت عامية واحدة لتضاءل حجم خطرها وكانت بديلا مرجوا إلا أنها عاميات تنزع للفرقة وتزاحم اللغة التي من شأنها أن توحد وتجدد ولها القدرة على الثبات ومقارعة غيرها من لغات العالم.

نص الإشكالية:

إذا كانت العامية خليط ومزيج لغوي لا يمت بصلة إلى الفصحى فكيف يمكن أن يكون لسان لغة التدريس والتواصل؟

هل هي عامية واحدة أم عاميات فكل ينزع إلى عاميته ويحي نعرته فأين التوحيد اللغوي؟

لماذا التمكين للتعدد السلبي باسم الدعوة إلى العامية؟

نصبو من خلال هذا المقال إلى تحقيق جملة من الأهداف نوجزها في ما يلي:

- توضيح الفرق بين العامية واللهجة بوصفهما مصطلحين متداخلين في عرف الاستعمال
- تبيان الأثر السلبي لطغيان العامية على اللسان الفصيح في الأوساط العلمية
- الكشف عن الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والهوية الوطنية
- الإبانة عن أثر العامية في تراجع المردودية العلمية
- التنبيه إلى أن العامية في الجزائر قادت إلى ظهور الثنائية اللغوية والتداخل اللغوي
- طغيان العامية في الأوساط الاجتماعية والعلمية ألغى امكانية تحصيل لغة بعينها على أصولها سواء أكانت العربية أو لغة أجنبية أخرى

لقد تناول هذا الموضوع أكثر من باحث لكن برؤية مختلفة نظرا لكثرة إشكالاته فينظر مثلا:

المؤتمرات والملتقيات الدورية التي انعقدت لمناقشة سلبية هذه الظاهرة في الجزائر والوطن العربي

هناك الدراسة الرائدة في مثل هذا الموضوع للأستاذ عمار طالبي الموسومة بوضع اللسان العربي في الجزاءر

أثريات المسألة اللغوية في الجزائر ما تبقى من سيرة الخبير بيير كون 2013م تقديم سعيد عيادي

اللهجات العامية وخطرها على العربية لصاحبها فضل الله ممتاز

تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر نفوسة زكريا سعيد يبين هذا الكتاب جذور هذه الظاهرة المرضية التي استشرى داؤها في الوطن العربي وللأستاذ محمود شاكر المحقق المعروف سلسلة دراسات في موضوع خطر العامية على المنظومة التعليمية وهي مبثوثة في كتابيه

جمهرة مقالات محمود شاكر وكتاب أباطيل وأصمار

أولا: التباين الاصطلاحي بين اللهجة والعامية

تتفاوت مستويات الخطاب تبعا لطبيعة المقام، فالمرء محكوم بمراعاة شخصية من يتواصل معه،كما يجتهد في التكيف مع المحيط وحال المخاطب فهذه العوامل تجعل من المخاطِب مجبرا على أن يختار اللغة المناسبة التي تمكنه من إجراء حوار ناجح؛ حيث ينشأ فضاء خطاب مناسب للطرفين وما يساعد في إتمام ترابط هذه السلسلة هو امتلاك اللغة لعدة مستويات ينتقي منها المخاطب ما يروق له قصد بلوغ غاية المرام في التواصل؛فليست مخاطبة الدهماء كمثل مخاطبة العلماء وليست اللغة التي يُتواصل بها مع الساسة كتلك التي يُتواصل بها مع أصحاب الحاجة، فلكل مقامه ومستوى خطابه وهذا ما ينعكس على طبيعة لغة النصوص فليست لغة الصحافة كلغة الكتب المتخصصة وكذا الفرق جلي بين لغة الرواية ولغة النثر الفني.

ولما كان الناس في حياتهم طبقات اقتضى ذلك أن يتحدثوا بلغة بيئتهم ويتواصلون بمعجم من يعايشون، فمستوى اللغة بصمة على درجات تموضع الناس ضمن المجتمع، وعادة ما يألف عموم الناس اللغة البسيطة غير تلك الموشحة بالزخاريف اللفظية والمكتنفة للمعاني الغائرة، وأنسب شيء لعالم حواراتهم هي اللهجة أو اللغة الدارجة أو العامية،تبدو هذه المصطلحات متطابقة في دلالتها كأنها تحيل على مفهوم واحد غير أن المعجم المعاصر للمصطلحات قد وضع حدا لكل منها بحسب المعنى المقتضي لاستعمالاتها،فهناك اللغة الأصل واللغة الأم واللهجة وكذا العامية واللغة المشتركة ولا يفصل بينها سوى خيط رفيع يبين مقام توظيف كل منها في سياق معين فإذا تم الخلط بينها في الاستعمال ومزج المخاطب بعضها ببعض،نشأ ما يعرف بالثنائية اللغوية والتداخل اللغوي بوصفهما مظهر سلبي في الاستخدام اللغوي ويقابلهما الازدواج اللغوي والتعدد اللغوي وهما مكسب علمي عند من يحسن توظيفهما دون إقصاء أو تهميش للغة الأصل.

فتنوع هذه المصطلحات وتقارب مفاهيمها يوجب ضرورة توضيح دلالتها،لكي تتبين أهمية مصطلح دون آخر،لا سيما أن اللبس يعتري بعضها بشكل كبير حجب الرؤية عن تحديد الخطر الداهم من إحداها وهي العامية التي يتواصل بها عوام الناس ويريد فريق من مثقفيهم التمكين لها في الأوساط العلمية،فما هو الفرق بين مصطلحي اللهجة والعامية؟

أ. <u>مفهوم اللّهجة</u>:

اللّهجة لغة مأخوذة من مادة " لهج " لَهِجَ بالأمر- لَهَجاً:أُولع به فثابر عليه واعتاده ولزمه)[1]

لَهْجة: جرس الكلام وأسلوب اللفظ، صفة التّعبير عن حالات نفسية وعن مضمون الكلام، واللّهجة لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها، وهي مجموعة نبرات تميّز لغة بلد أو محيط معين:- " لهجة إنجليزية" ،" لهجة بدوية" -لهجة محلية " "لهجة جبلية ".[2]

وعلم اللّهجات : علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من للغات

لهذا فرّق المعاصرون بين اللّهجة واللغة يقول الأستاذ "إبراهيم أنيس": « أمّا اللّهجة فهي مجموعة الصّفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد البيئة.

والعلاقة بين اللّغة واللّهجة هي علاقة الخاص بالعام؛ لأن بيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة الظواهر اللغوية)[3]

انطلاقا من هذا النص يمكن أن نفسّر اللهجة بأنّها اللّغة التي تنحدر من اللّغة الأصل وتأخذ أكبر عدد من سماتها ومميّزاتها، وتزداد في التفرّع عنها بإحداث جذور عن الأصول الأم ،كما هو الشأن مع اللّغة العربية التي كثرت لهجاتها وتفرّقت في البوادي، إلاّ أنّها لم تكن عنوانا لشتات شمل العرب، بل عبّرت عن ثراء اللّغة وتنوّعها، والدّليل في كلّ ذلك وجود مساقط لصور كل لهجة من لهجات العرب في القرآن الكريمم [4] وقد امتد هذا التمثيل في علم القراءات القرآنية التي أبانت عن ميزة التعدّد اللّهجي في لغة العرب ومن بعده لغة القرآن .

ب. <u>مفهوم العامية</u>:

يرادف هذا المصطلح في استخدامات اللّغة المعاصرة مصطلح اللغة الدّارجة؛ أي أنّها اللّغة التي اكتسحت عموم لسان الأمّة التي تنطق بغير اللّغة العربيّة الفصحى، فظاهرة العاميّة هي كلّ وجه لغوي يخالف أصل كلّ لغة حتى وإن لم تكن عربية؛ لأن العاميّة في جوهرها هي مزيج بين ثلاثيّة اللّهجة واللّغة الأصيلة وبعض ألفاظ اللّغة الدّخيلة، ففي اللّغة العربيّة مثلا، لم تحدث الثنائية اللّغويّة عندما كانت ثنائيّة اللّهجة والفصحى، بل نشأت الثنائية حينما ظهر صنف آخر من الألفاظ الأجنبيّة، التي لم تطاوع اللّسان العربي وبقيت على أصل بنيتها، فالعاميّة إذن فساد طرأ على الفصحى، وأصابها في الألفاظ والصيغ والجمل والإعراب.وهو ما نراه اليوم في اللهجات العاميّة حولنا.

فأمّا الألفاظ فإنّ العاميّة لا تبالي أن تستحدث ما ليس له أصل في الفصيح، ولا تبالي أن يكون فيها ألفاظ داخلتها على مرّ القرون من لغات قديمة، أو تسرّبت إليها من اللّغات الأجنبيّة الحديثة، وهي تترك هذه الألفاظ على ما هي عليه، وقد تحرّفها ولكنّها لا تعربها، كما عرّبت الفصحى بعض الألفاظ الأعجميّة، ذلك «أنّ الكلمة إذا أخذها العرب من غيرهم، وصاغوها على أوزان حروفهم، ودارت في أشداقهم ومرنت عليها ألسنتهم صارت من لغتهم) [5]

فالمعرّب من إيجابيّات تلاقح اللّغات لأنّه أسهم في التطوّر وزيادة ثراء المعجم، وهذه خاصيّة في اللّغة العربيّة، التي استطاع علماؤها لمّا امتلكوا ناصيتها أن يستفيدوا من إمكاناتها، ويستثمروا ميزة صيغها، فكان من ذلك أن انضوت كلّ مفردة أجنبيّة تحت باب من أبواب أنظمة المعجم العربي، ممّا أبعد اللّغة الفصحى عن خطر العاميّة المؤديّة إلى الثنائية؛ إن هي تمكّنت من مزاحمة الفصحى في الاستخدام اليومي أو العلمي.

فما أصاب اللّغة العربيّة الفصحى من اضمحلال، وصعود العاميّة مكانها، فسببه أولئك الذين أخذوا بمبدأ: (دع لغتك تجري وشأنها، ثم خذها وصفها في كلّ مرحلة كما هي، فهي نتاج حضارة تلك المرحلة، ووسيلة التّفاهم بين المتحدّثين لها في ذلك الوقت.) [6]

فظاهر هذه العبارة لا اختلاف حوله في كون اللّغة وليدة زمانها وبيئتها الاجتماعيّة، شأنها شأن الأفراد الذين يتكلّمون بها، فالدّراسات اللّغويّة أثبتت «أنّ وجود مستويات التّعبير في اللّغة الواحدة أمر طبيعي، بل حتمي، وأنّه لا تنافي بين استعمال (لغة مثالية) في العلم والخلق، ووجود مستوى أدنى من البلاغ اللّغوي المباشر المتميّز) [7]

وهذا الوضع« ظاهرة ألسنية عالميّة تنطبق على عدد كبير من اللّغات، ولذا لا تشكّل اللّغة العربيّة حالة استثنائيّة وفريدة، بل تتساوى في ظاهرتها هذه مع عدد كبير من اللّغات) [8]

إذن أن يكون للّغة العربيّة مستويان (أو أكثر) شيء طبعي كما سبق القول، لكنّ غير الطبيعي أن يتباعد هذان المستويان تباعدا يصل بأحدهما ألاّ تفهمه، أو تفهمه ولكن بصعوبة جماعة عربيّة لها وزنها العددي. إذا لم تفهم بسهولة، جماعة عربيّة (أو مجتمع عربي) في بلد عربي ما عاميّة مجتمع عربي آخر، ولم تفهم جماعة عربيّة ما في بلد عربي ما عربيّتها الفصيحة فإنّ الأمر عند مؤشّر الخطر. لأنّ ذلك يعني انفصال حاضر اللّغة عن ماضيها بفعل لغة دخيلة أوجدتها ظروف قاهرة، كالاستضمار مثلا، لأنّ منتهى ذلك ثنائية لغويّة بوصفها حالة مرضيّة لابدّ من القضاء عليها، وتحجيم دورها.

ج تعدد لهجي لا تكاثر عاميات

اقترنت كثرة اللهجات العربية بعدد القبائل التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية قديما ولم يكن ذلك عنوان الشتاة والفرقة بل تقاسموا راضين اللسان العربي الفصيح الذي خاطبهم به القرآن الكريم ففهموه عن بكرة أبيهم؛ حيث استوقفهم وعده ووعيده وأذهلهم سحر بيانه، وما حير عقولهم أنهم وجدوا مساقط ألفاظ لهجاتهم في الذكر الحكيم قد تواشجت مع ظلال معاني ألفاظ أخرى لا عهد لهم بها غير أن ذلك التمايه في نظم مسترسل أوعز إليهم بوحدة اللغة التي خوطبوا بوساطتها.

فلم يكن التعدد الهجي معرة في عرف علماء فقه اللغة بل هو دليل على اتساع اللغة العربية وتنوع روافدها التي زادت من ثراء معجمها الحاوي لزخم كبير من الألفاظ والمعاني،كما أن الملاحظ هو عدم انشقاق أي لهجة عن العربية وذلك بأن تطورت وصارت صنوا لها أو انفصلت عنها لتستقل بالكلية وهو ما حدث مع اللغات الأخرى خاصة القديمة منها [9] فاللغة العربية تم لها التطور والتجدد بمعزل عن لهجاتها التي انقرض معظمها فما كان منها إلا أن بقيت هي شاهدة على آثارها.

أما العامية فهي منبوذة في أصلها نظرا لافتقادها لمرجعية لغوية ناهيك عن تعددها الذي يفصم عرى التوحد ويعمل على التشرذم لكون العاميات شعار النزعة الاجتماعية التي تدعوا إليها فئة ما تحكمها جهوية مقيتة، فإذا اقتنع الجميع بأن العامية منفذ إلى إحياء النعرات تسنى عند إذٍ التخلي عنها تدريجيا والتنائي عن تداولها كما فُعل باللغات الميتة في تاريخ البشرية،فقد تخلت المجتمعات عن لغات شكلت لها عائق حضاري حال دون انسجامها مع تطور لسان البشر في كل عصر تماشيا مع مقتضيات الحاضر وعلومه، ولا ينطبق هذا على اللغة العربية التي عمرت في الأرض سنين طويلة منذ فجر الإنسانية؛ حيث لم يزدها ذلك إلا حيوية كشفت عن خصيصة فيها انعدمت فيمن صارعوها قديما وبادلوها العداء حديثا، وسيأتي الحديث عن الخطر الداهم للعاميةإذا ما تم التمكين لها في العنصر الثالث من هذا المقال.

ثانيا: مظاهر تغلغل العامية في المؤسسات التعليمية قبل الدعوة إليها مؤخرا

الدعوة للعامية ليست حديثة المنشأ في الجزائر،لكون بوادرها قد ظهرت قبيل الاستقلال مباشرة حينما ارتفع صوت تيار المغتربين من أبناء هذا الوطن؛حيث تنادو مبكرين بضرورة الحفاظ على اللغة الفرنسية وسعو جاهدين في التمكين لها،فترعرع جيل كامل لا يكن لها إلا الاحترام والتوقير وكيف لا يكون حاله كذلك وهو الذي ارتضعها في أطوار التعليم الأولى،فأبناء الطور التأسيسي الأول بُعيد الاستقلال تجرعوا ما تجرعوا من معين تلك اللغة الأجنبية حتى شبوا على حبها لا يعرفون أما سواها واللغة العربية في نظرهم لا وجود لها إلا في كتاب الله عز وجل،فإذا تواصل بها شخص ما فهو من شيوخ الزوايا أو امرؤ دخيل أقبل من المشرق العربي.

وهذا الجيل هو الذي حمل مشعل التحدي في تشييد صرح الدولة الجزائرية الحديثة،فما كان من جراء ذلك المسخ إلا أن استعصى على من جاء بعدهم تعريب العلوم والدواوين الحكومية فبدأت حركية الترجمة والتعريب تخطوا خطواتها الأولى برجل عرجاء وسير متعثر ؛مما بدا للمتشككين والمتربصين أنه لا سبيل للعودة إلى ما قبل الاستضمار؛ حينما كانت اللغة العربية ترفل في ثوب عزها وكرامتها، دون أن تبتعد عن خدرها [10]

ما أحدث الانفصام بين جيلي الاستقلال أن الدولة قد أنشأت أحدهما متفرنس والآخر معرب يتلكأ في لغته لعدم وجود من يكونه التكوين العلمي بهذه اللغة، فالمشارقة الذين أسهموا في هذا الجهد وهو تعليم جيل المعربين لم يتسع نطاق عملهم وفق ما تقتضيه طبيعة التوزيع الجغرافي للمؤسسات العلمية في الجزائر، وأصبح هؤلاء المعربون من جملة الشهادات العربية مبعدين عن الوظائف التي يمسك بزمامها أصحاب الفرانكوفونية في أعلى هيئات الدولة والمؤسسات التربوية وغيرها.[11]

إن جيل الفرونكفونيين قد حظي بعناية خاصة تكلؤه عين رعاية النخبة الذين عملوا على التمكين للغة المستضمر بمختلف الأشكال وجميع الطرق؛ فانعكس ذلك في تذبذب المنظومة التربوية والتعليمية في الجزائر حيث رهن مستقبل الأجيال كل مسؤول على القطاع المعني يحاول تنفيذ المشروع الذي ينطلق من توجه معين، فنشأ صراع بارد بين أطراف التنازع الحضاري تيار يبحث عن الهوية والانتماء وآخر ينشد التحرر من ربقة أمة العرب الموسومون بالرجعية والتخلف.

لقد تميعت أجيال المتعلمين، علميا في الجزائر حيث لم يحصلوا أي لغة على أصولها فالصراع بين الطرفين في هذه المرحلة متعادل الكفتين فلا وجود اللسان العربي الفصيح في العموم كما أن الفرنسية قد اندحرت رويدا رويدا عدا بقايا من قدماء مستخدميها ما زالوا ينافحون عنها، فالذين يعلمونها في أقسامها بالجامعات قد استشعروا تراجعا كبيرا في اكتسابها والملاحظ كذلك نفور أطوار التعليم الابتدائي من تعلمها ولا يعني أنها انقرضت لكون جذورها في المجتمع جد متغلغلة يعسر اقتلاعها،غير أن ظاهرة الصراع اللغوي هذه قد أفضت إلى حلول العامية محلهما في التواصل العام واتخذها المعلمون وسيلة للشرح وتقديم الدروس داخل المؤسسات التربوية ثم استشرت الظاهرة حتى اكتسحت الجامعات في أقسام اللغة العربية، وهذا التوسع له مظاهر شتى وعوامل يسرت انتشاره بشكل سريع في الأوساط الاجتماعية والثقافية ويمكن توضيح مخطط التمكين للعامية واستفحال توظيفها على النحو الآتي:

ا معاقل تنشئة العامية في الجزائر

يتفتق لسان الطفل في الأسرة الجزائرية بخليط لغوي يسمى اللغة الدارجة،وما هو إلا مصطلح تستتر خلفه رطانة العامية التي يكتسبها الطفل رغما عنه بل إنه يتشربها ولا يكاد يستصيغها حتى يصتدم بلسان آخر تتناوب فيه ألفاظ العامية واللغة العربية زعما أنها العامية الراقية أو المفصحة،لا يتكلم بها إلا معلمه في المسجد والروضة والمدرسة الابتدائية وما يجعل الطفل في مفارقة أشبه بالدوامة هو أنه يصادف في حياته ومراحل تنشئته الأولى لغة عالية المستوى يسمعها في بعض القنوات إما من متفصحين أو عند تلاوة القرآن أمامه وقراءة نصوص راقية من كتب ومجلات، فيتشكل في ذهنه مخيال لغوي مضطرب.

ما يلحظه الطفل هو انتشار العامية التي ترعرع يسمعها باستمرار من أقرب الموارد إليه وهما والداه ومحيطه الأسري،ثم إذا خرج إلى الشارع وجد أقرانه وجميع الناس في مجتمعه يتواصلون معه بهذا اللسان الذي يفهمه فلا يشك لحظة واحدة أنها لغته الأم والأمر صحيح الاعتقاد مبدئيا، لولا أنه لا يصادف لسان آخر في الروضة والمسجد والمدرسة، ثم ما يلبث أن يفاجأ بلغة أخرى تختلف عن ما سمعه من قبل وهي تلك التي يقرؤها في الكتاب المدرسي، فالمعلم يتكلم بلغة والكتاب يخاطب بغيرها فتحدث الثنائية اللغوية حتما، فالأسرة والشارع ومحيط المدرسة وغيرها من أماكن تواجد الطفل تصهر على رعاية العامية والترويج لها على أوسع نطاق.

ب الكتاب المدرسي هو جلباب اللغة العربية الفصيحة

تفاوتت مستويات تحري الفصحى في الكتاب المدرسي في الجزائر،فهي ترقى تارة وتتراجع تارة أخرى إلا أن الكتاب ظل زمنا طويلا يحافظ على أقل حصيلة ممكنة من ألفاظ العربية،لا سيما أن أن الكتاب يحوي بين دفتيه نصوص من الذكر الحكيم وبعض الأحاديث ونصوص من كلام العرب المجلوبة من التراث وهذا ما ساعد على التعرف على عدد ليس بالنزر اليسير من مفردات اللغة العربية الفصيحة وتحفظها ذاكرته بعد ذلك طواعية يسترجعها في مستقبل أيامه على وجل خشية أن ينطق بها علانية فيزدريه من حوله من زملائه ومع قلة المطالعة عند طلبة العلم والتلاميذ فإن ذلك الرصيد اللغوي سرعان ما يضمحل ويزول.

فاللغة العربية ظلت حبيسة كتب التراث ومن حذا حذو القدماء في الكتابة بهذه اللغة التي تضاءل عشاقها في الجزائر خاصة في ظل انتشار وسائل التواصل الإلكتروني الذي ضاق معه توظيف ألفاظ اللغة فالأغلبية الساحقة تعتمد رموز كتابية معينة وإشارات لغوية تكاد أن تضاهي العامية بل هي رافض من روافضها، وما دام الكتاب يعاني التهميش والتجاهل فهذا يقود إلى مزيد من العزلة لهذه اللغة وقد عثر الطفل في المجتمع الجزائري على طوق نجاة للسانه العربي؛ لكونه متعلق بمتابعة قنوات فضائية خصصت للاطفال ظهرت في العشرية الأخيرة تنزع في توجهها العام نحو توظيف اللغة العربية، فيروم الطفل الجزائري تقليد ما يعرض فيها من صور صوتية تحسن من أدائه اللغوي نسبيا.

ج مكانة العامية في حجرة الدرس داخل المؤسسات التعليمية:

يتبجح كثير من المنظرين للواقع اللغوي في الجزائر أن اللغة العربية قد تمترست وراء أصوار دور الثقافة والمؤسسات التعليمية ،غير أن الحقيقة التي جانبت الصواب المعلن أن العامية هي سيدة الموقف داخل تلك المؤسسات تصول وتجول وتجري على الألسنة

جريان مياه الشلالات في أعالي المرتفعات، فلا شيء يوقف زحفها ولا وجود لرادع يحد من استعمالها فالتلميذ لا طاقة له بتوظيف اللغة العربية الفصيحة مع زملائه، كما لا يجرأ على مخاطبة معلمه بها، أما عن المعلم نفسه وهو القدوة في كل شيء فإنه لا يحسن إلا اجترار عامية الشارع في حواره مع طلابه ونادرا ما ينبس بلفظة أو لفظتين من اللغة العربية تفرض نفسها فرضا على لسانه لمواءمتها المقام دون سواها.

وما كشف عن تفاقم الظاهرة واستفحال خطر العامية هو أن طلبة أقسام اللغة العربية في الجامعات قد تنكروا لهذه اللغة التي اختاروا التخصص في دراسة علومها إذ تجاهلوا لغة الاختصاص ولم يتأثروا بأساليب الفصحاء الذين يقرؤون عنهم في بطون الكتب التي بين أيديهم ليلا ونهارا ولو على سبيل التقليد، فكأن المتخرج من تلك الجامعات والأقسام لا يمت بأي صلة لهوية أمته ناهيك عن الانتصار للغة العربية، فيحجم عن الذب عنها والدفاع عن مقوماتها ومكانتها بين أقرانه بل يعتريه شعور بالنقص والتضاؤل أمامهم عند الحديث بها أو عنها، أما موقف طلبة الأقسام الأخرى في العلوم الإنسانية فهو أشد وأنكى وهناك من يزدريها في أقسام اللغات الأجنبية والعلوم الطبيعية والتقنية فسلوكهم اتجاه اللغة العربية عادة ما يتسم بالعدائية والنظرة الشزراء،فهم أشبه بمن يرتمي في أحضان غير والديه ويحاول أن يذمهما وينتقص من شأنهما فلا يزيده ذلك إلا نذالة وحقارة في أعين من ارتمى في أحضانهم صاغرا متذللا.

وقد جرف هذا التيار أساتذة الجامعات بدء بمن يؤطر طلبة أقسام اللغة العربية وآدابها فهم على صعيد واحد في قضية موقفهم من اللغة العربية، وقلما ينسل أحد منهم لمواجهة حملة تجاهل العربية ويسعى جاهدا للترغيب في التكلم والكتابة بها ولا يجد أغلب أساتذة الجامعة حرجا في أنفسهم إذا ما تم شرح المحاضرات بالعامية يحذوهم الأمل في حصول أكبر نسبة من الفهم ونسي أولائك أنهم ميعوا المادة المعرفية بإقحام العامية وإقصاء اللغة العربية.

ثالثا: إرهاصات تعدد العاميات في الجزائر:

طغيان العامية في المجتمع الجزائري ليس وليد الصدفة أو راهن مستحدث بل له جذور في تاريخ هذا الشعب منذ أن غزى المستضمر أرضه في مستهل القرن التاسع عشر حيث حاولت فلول الاستضمار طمص معالم الهوية وبتر أواصر الانتماء الحضاري وذلك بالاستعانة بكل وسيلة تبلغه غايته الشنعاء فامتدت يد التدنيس إلى معاقل العربية وهي المساجد، ثم تم محاربة التوجه العربي والإسلامي في هذه البلاد، وكان المستضمر يعلم أن اللغة والهوية وجهين لعملة واحدة لا سبيل للفصل بينهما [12] فاقتنص فرصة القضاء على وجه واحد من العملة ليتحقق له إلغاء الوجه الثاني طواعية دون عنت أو مشقة، ويمكن تحديد البدايات الأولى التي تبين منطلق الدعوة للعامية والتمكين لها وذلك كما يلي:

أ.ظهور مصطلح العربية الدارجة إبّان الإستضمار:

عدّ الفرنسيون اللغة العربية لغة أجنبية والفرنسية هي اللغة الرسمية. وكان ذلك موقفا واضحا من الدّين الإسلامي أيضا؛ لأنّ اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة التي كتب بها تراث الدولة الإسلامية. ومن جهة أخرى كان موقفا سياسيا واضحا أيضا، لأنّ العربية كانت هي لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية، فإذا استثنينا الجهاز المركزي بالعاصمة حيث كان الخلط بين

العربية والتركية، فإن إدارة الأقاليم والأوطان والجماعات والمدارس والمحاكم كانت كلها باللّغة العربية. وهكذا فإنّ عد اللّغة الفرنسية هي اللغة الرّسمية كان نفيا لما عداها. ممّا يعني السّيادة السياسية لفرنسا وضرب الدين الإسلامي ولغته وحضارته [13]

ولكن هذا لا يعني استغناء الفرنسيين عن اللّغة العربية . لقد فهموا أن حاجاتهم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تنجز إلا باستعمال هذه اللّغة. وقاموا من أجل ذلك بمحاولتين، الأولى هي إهمال تدريس العربيّة في المدارس القديمة ، وذلك بقطع مصادر الوقف عنها. والثانية هي الاكتفاء بتدريس العربية الدّارجة لضباط الجيش الرّاغبين في العمل الإداري من الفرنسيين.

وقد تولّى الفرنسيّون أنفسهم في البداية تدريس اللغة العربية الدّارجة، ثمّ أوكلت المهمة إلى بعض المشارقة الذين رافقوا جيش الحملة، مثل "جوني فرعون" (وهو سوري – مصري) سنة 1832، ثم واصله "لويس برينيه" منذ 1836. وقد شاركه في ذلك عدد أخر من المستشرقين الذين انتشروا في غرب البلاد وشرقها، ومنهم "شيربونو" في قسنطينة، و"ماشويل" في وهران. وصدرت عن هؤلاء مجموعة من الكتب التّعليمية بالعربيّة الدارجة والفرنسية، وهي كتب تقرأ من اليسار إلى اليمين، كما صدرت عنهم قواميس في الموضوع نفسه.. [14]

وتمثّل هذه المرحلة أساسا لبقية المراحل بما في ذلك مرحلة ما بعد الاستقلال، لأنّ امتداد التّأثير بقي صداه يتردّد في كل مرّة تتعالى فيها الأصوات بصعوبة اللّغة العربية الفصحى، وعدم قدرة الشعب على استخدامها كما هي في التّواصل، والدّليل على ذلك أنّ الاستضمار ومن حذا حذوه من المستغربين كانوا يطلقون على الفصحى مصطلح لغة قريش لزرع عنصرية الفصل اللّغوي بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، فهم قلّ ما يستخدمون مصطلح لغة القرآن.

ب .دعوة بعض الجز ائريين إلى تعلم الفرنسيّة أثناء الحقبة الاستعمارية:

لقد ظهرت طائفة من الجزائريين ليسوا بالعملاء في الظّاهر ولكن استهوتهم الحضارة الغربية فأرادوا بها بديلا عن انتمائهم العربي الإسلامي، وهم أولئك الذين عرفوا بالاندماجيين؛ أي أنهم رغبوا في إدماج الشعب الجزائري مع الشّعب الفرنسي، وأنّ الجزائر لا تعدو في نظرهم أن تكون مقاطعة فرنسيّة، فهذه الفئة من الجزائريين سارت في فلك الاستضمار في جوانب كثيرة لاسيما في الدّعوة إلى إحلال اللّغة الفرنسية محل اللغة العربية الفصحى، فالفرنسية في نظرهم لغة العلم والتّقدم وأن توظيفها في الاستخدام اليومي والكتابة يساهم في ترقية الفرد العربي، فهو إن تعلّمها سيضطّلع على ما أنتجته الحضارة الغربية فلا يكون له بد من ترسّم خطاها في الرقي والتقدّم، فهذه الدّعوة ظاهرها فيه الرّحمة و باطنها من قبله الازدراء باللغة العربية الفصحى.

وما زاد الطين بلّة أنّه ظهر في تلك الفترة أي النّصف الثاني من القرن التاسع عشر فريق من الكتّاب المحسوبين على الإسلام ينادون بضرورة تعلّم اللغة الفرنسية، والاستفادة من ملكتها وقدرتها على التّوصيل المعرفي، يقول الأستاذ "أبو القاسم سعد الله" : خلال الستينات -1860- ظهرت على صفحات (المبشّر) كتابات بتوقيع رجال العلم الجزائريين يدعون قومهم للتعلم باللغة الفرنسية وتحصيل العلوم الفرنسية. لم يكن هؤلاء من خرّيجي السوربون، ولا من مدرسة سان سير، ولا حتى الكوليج الإمبريالي. كان بعضهم إماما للصّلاة، وبعضهم مدرّسا في المدرسة الشرعية – الفرنسية ، قبل أن تدخلها اللّغة الفرنسية، و بعضهم كان من المرابطين الذين تولّوا وظائف إدارية مثل "بن عمر علي الشريف" الذي دعا إلى ذلك في رحلته إلى فرنسا سنة 1852. وغيره من الشيوخ أمثال :

"مصطفى بن السادات القسنطيني"، "محمود بن الشيخ علي بن عبد القادر" ، "حسن بن بريهمات" و "محمد بن الحاج حمو"، وهؤلاء أخذوا على عاتقهم دعوة مواطنيهم إلى التعلم باللّغة الفرنسية على صفحات الجريدة الرسمية (المبشّر) .

إن السّلطات الفرنسية كانت تجد أمثال هؤلاء المشايخ في كل وقت يختمون على قراراتها ويصدرون لها الفتوى المناسبة، ومع ذلك فلا نستطيع أن نسمّي هؤلاء جميعا بأنصار الاستغراب والاندماج ، لأن هؤلاء الدعاة كانوا من الجهلة بالسّياسة ، أمّا الأنصار الحقيقيون للاندماج فهم طائفة أخرى) [15]. كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

ج. اهتمام الاستضمار الفرنسي بإحياء اللّهجات:

سبقت الإشارة إلى أنّ اللّغة الرسمية في الجزائر كانت هي اللغة العربية الفصحى قبل دخول الاستضمار على الأقل في دوائر حكومات الأقاليم والحكومة الرسمية، كما أنّها كانت وسيلة التواصل نطقا وكتابة بين أفراد الشعب، غير أنّ ذلك لا يعني غياب اللّهجات في المجتمع الجزائري قبل الاستعمار فوجودها وجود طبيعي؛ بالنّظر إلى الهجرات المكثّفة التي شهدتها القبائل العربية بفعل تعرّضها للحروب؛ التي كانت في شبه الجزيرة العربيّة والأندلس، ويعدّ أكبر نزوح تعرّض إليه المغرب العربي هو ذلك الذي وفد عليه من الأندلس لاسيما في أيام سقوطها.

فالذين هاجروا إلى بلاد المغرب بما في ذلك الجزائر ظلوا على صلة بالقرابة التي تجمعهم حيث حافظوا على نظام القبائل والعشائر، ممّا أدّى إلى نشوء حدود اجتماعية من سماتها تشكل لهجة ظاهرها العربية الفصحى، وباطنها ألفاظ محرّفة عن اللّغة الأصيلة تتخلّلها ألفاظ من لهجات محلّية كانت تستوطن الجزائر قبل قدوم أهل شبه الجزيرة العربية والأندلس، فكلّ وافد لابد أن يصطحب معه ذخيرة لغويّة جلبها من الموطن الأصيل الذي كان يقطنه فبتلاقح هذه العوامل نشأت اللّهجات المحلية الجديدة قبل الاستضمار، بالإضافة إلى لغة البربر التي تنفصل تماما عن أي مظهر لغوي في العربية الفصحى.

فلّما وفد الاستضمار على الجزائر عمل على إحياء اللهجات و النّعرات قصد إفشاء الفُرقة بين الشعب الذي وحّده الدّين واللّغة العربيّة، حيث كانت كل لهجة لا تتعدّى محيط القبيلة أو العشيرة، فعندما انتبه المستشرقون الذين واكبوا الحملة إلى هذه الخاصيّة، نشط بعضهم في البحث عن أصول هذه اللّهجات، وعكفوا على إحيائها وبعثها، وذلك بالتّرويج لها من خلال تصنيف الكتب عنها والتعريف بها، فهذا الجهد له مشروعيّته العلمية إلاّ أن خلفيته كانت كثيرا ما تضمر السوء للّغة العربية الفصحى، فهم حاولوا أن يشغلوا أذهان النّاس بلهجاتها الضيقة لكي يتسنى للمستضمر تهميش اللّغة العربية وإقصائها.

إنّ الدّعوة إلى إحياء اللّهجات والقول بوظيفيّتها لهو أكبر ضرر من العاميّة نفسها، فلو ادعتّ كل طائفة أنّ لهجتها أحق بالاستخدام من غيرها؛ لكان ذلك أدعى إلى فتنة أشد من فتنة القتل نفسها، خاصة إذا كانت البلاد كالجزائر مثلا تحوي على الأقل أربع لهجات رئيسة وأكثر من خمسين لهجة فرعية تتباين في بعض الألفاظ فقط؛ وتلك اللهجات الرئيسة هي: القبائليّة أو البربرية، التّرقية، الميزابية، الشاوية، وما بقي من الشّعب يتحدّث العاميّة الهجينة هذا بعد الاستقلال، أما أثناء الاستضمار فالشعب إن لم يكن منضويا تحت اللّهجات الرئيسة السّابقة فهو يتحدّث بلهجات تعتمد تحريف الفصحى لا غير، واستمرت فرنسا في محاربة اللغة العربية بوسائل متعددة بعد حصول الجزائر على استقلالها ومن هذه

الوسائل إنشاء الأكاديمية البربرية وتستعمل الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية، وكان الهدف تمزيق المجتمع الجزائري تمزيقا لا يقتصر على استعمال اللسان فحسب وإنما يمتد إلى العرق[16]

رابعا: تعدد العاميات والتداخل اللغوي؛ فكا كماشة للقضاء على الفصحى في الجزائر

ما ينجر عن التمكين للعاميات هو نشوء ظاهرة الثنائية اللغوية ومن بعدها التداخل اللغوي بوصفهما مظهرين سلبيين في عرف المجتمعات المتحضرة، ففي الوقت الذي يفتخر فيه الناس بالتعدد اللغوي؛ لكونه مكسب علمي يفتح آفاق التواصل مع بقية الأمم، أما في البلاد العربية فتنتشر ظاهرة التداخل اللغوي التي تبين مدى تراجع المجتمع حضاريا وأنه قد سعى في وأد لغته الأصل وارتضى غيرها بديلا فما هو الفرق المنفعي بين التعدد اللغوي والتداخل اللغوي؟

ا. مفهوم التعدّد اللغوي

التعدّد اللغوي هو الجمع بين لغتين إضافة إلى اللّغة الأصل مع الفصل بين هذه اللّغات عند الاستخدام وتوظيفها للتواصل العام نطقا وكتابة، ويمكن التمييز بين أنواع التعدّد اللّغوي بحسب عدد اللّغات المكتسبة[17]

ب مفهوم التداخل اللغوي

التداخل اللغوي ظاهرة سلبية تنجم عن عدم التحكم في إتقان التواصل بأكثر من لغتين؛ حيث يحدث تمازج غير مرغوب فيه بين ثلاثة معاجم أو أكثر وهذا السلوك اللغوي الهجين منفذ إلى العامية التي تتميز بتشويه البنية الأصيلة للفظ وتركيبة الجمل وقبلهما تحريف الأصوات عند نطقها ولا يسلم من هذا التقويض أي لغة تواشجت

سلبيا مع لغتين من غير جنسها، ممّا يقحمها في أتوني التداخل اللغوي الذي تمجه الفطرة اللغوية السليمة، فالملاحظ أن العامية والثنائية اللغوية والتداخل اللغوي هذه الثلاثية قد ولدت من رحم واحد هو إقصاء اللغة الأصل وإحلال لغة أجنبية محلها تمام كما حدث مع اللغة العربية في الجزائر.

نية المستضمر ومن حذا حذوه بعد الاستقلال في الجزائر من وأد اللغة العربية هي استئصال شأفة الانتماء الحضاري الذي يجمع هذا الشعب بماضي أمته التي ارتقت بها اللغة العربية أعلى المصاف في سلم التحضر البشري فكان لزاما أن تستبعد هذه اللغة بأي شكل من الأشكال حتى لا ينشأ جيل الانتماء والابداع وهناك مكمن لزرع الفتنة من وراء الدعوة للعامية في الجزائر فذلك يقود حتما إلى إذكاء روح الجهوية والتشيع للطائفية والانتصار للنزعة القبلية، لقد ورد في وثيقة صدرت عام 1973 أن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس اليوم كله تزييف وتحريف ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة [18]

ما فعلته الشعوب العربية باللغة العربية بعد الاستقلال لهو أشد نكاية من تلك التي قام بها المستضمر، فالشعوب المتحررة في أسقاع العالم قد تمسكت بلغاتها وعملت على إحيائها بعد أن نالت استقلالها؛ حيث اتخذتها معراجا لبلوغ مراقي الصعود المفضية إلى مجد العزة والكرامة، فاليابان هذا البلد المعجزة قد تخلى عن كل شيء حينما لحقته الهزيمة النكراء في الحرب العالمية الثانية إلا أنه في مفاوضاته ظل متمسكا بلغته وهو في أرذل مراحل الذل والهوان والأمثلة على هذا النحو كثيرة مع تلك الدول التي استقلت

بعد الجزائر بسنوات واستطاعت أن تنهض بمجتمعاتها وتنافس من استضمرها ووطئ حرمة بلادها فهي لم ترتمي بين أحضانه وتستورد لسانه بل اتخذته ندا للتحدي وصنوا للمواجهة.

نتائج الدراسة

- الضيم اللغوي هو الذي تعاني منه اللغة العربية في الجزائر أعداؤها هما العاميات واللغة الأجنبية التي حلت محلها في الدوائر الرسمية

-ما ينقص المنظومة التربوية بالجزائر هو غياب لسان موحد يجمع شتاة عقول المتمدرسين الذين تشردوا في التيه اللغوي ولم يعثروا على ضالتهم التي توجههم التوجه الصحيح المفضي إلى توظيف لغة بعينها يكتسبون بها جميع معارفهم دون مزج أو تداخل حتى لا يحدث الأمر نفسه مع الرصيد المعرفي فهو إبن اللغة التي يُحصل بها.

-لو كانت عامية واحدة في الجزائر لهان الأمر واتُخذت لغة أُم، لكنها عاميات تعتد كل منطقة بأصالة ما تتكلم به فإلى أيها يكون المرجع؟

-دول العالم المتحضر لا تعتمد سوى لغة رسمية واحدة تكون سفير عنها في أي محفل وموطن، أما في التعليم فالأمر مقدس تتقدم اللغة عن غيرها من العلوم بحيث تحدد معيار القبول وتعين مستوى النجاح والأمثلة على ذلك أكثر من أن تستقصى.

-الصراع اللغوي في الجزائر لن يسفر سوى عن طغيان للعاميات المحلية التي سيكون لها الغلبة في ظل تمسك كل طرف بمرجعية حضارية فالذين انسلخوا عن هذا الوطن وتنكروا لأصوله لن يستسلموا حتى يردوا المجتمع الجزائري عن هويته ويجعلونه يتبنى قصرا لسان قوم هم أشد استعداء للدين ولغته التي أنزلت به وارتضاها المجتمع منذ أن وطئت رسالة الإسلام هذه البلاد، أما أنصار التمكين للغة العربية فهم يخوضون هذا الصراع بتحدي رصيد أسلحته هو أن "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" فالرهان قائم على أساس عودة هذا المجتمع إلى حاضرة أمته.

- يتوحد المجتمع باللغة ثم يأتي تراثه الشعبي بعد ذلك ليكشف عن ميزاته الأنثربولوجية المعبرة عن الطبيعة الثقافية لعامة الناس في المستويات الدنيا وتكون اللهجة من بين بقايا ذلك الإرث الشعبي.

- يمج العلم اللسان الهجين ولا يتأتى لطالبه إلا إذا كانت اللغة راقية تساعد على الابداع الذي يوسم بختم اللغة التي فكر بها علماؤها فأضافوا جديدا إلى الإنسانية من حر فكرهم ولا سبيل إلى ذلك إذا تم إقصاء لغة في مستوى العربية التي مثلت عنوان حضارة لم تخبو آثارها إلى اليوم.

- أصالة المجتمع تدل عليها الغيرة على لغة وطنية واحدة فإذا تنازع أبناء المجتمع حقيقة اللسان الذي يردهم إلى أصولهم الحضارية فإن اللاانتماء هو مرجعية المجتمع في النهاية وأن الهوية متشتة بين أطراف لكل منها منزع تنجذب إليه.

- تذبذب المردود العلمي في الجزائر مرده إساسا إلى عدم وجود مرجعية فكرية تنطق بلسان مبين له أصل واضح وانتماء راسخ، فالتداخل اللغوي قد شوه المنظومة التعليمية برمتها سواء في المستويات العليا أو القاعدية لكون الظاهرة المرضية الكاشفة عن

اعتلال لغوي لا يمكن التستر عليها فهي منتشرة في الأوساط العلمية انتشار النار في الهشيم، وقضية الركون إلى لغة بعينها تكون على الأقل وسيلة التعليم دون غيرها تبقى في حكم المجهول تتقاذفها أهواء المنظرين لمستقبل الهوية الوطنية.

الإحالات العلمية:

(1) لسان العرب: إبن منظور دار صادر، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى،2000م، مادة [لهج]، 359/2.

(2) المنجد في اللغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون دار المشرق، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،2000م، ص1304

(3) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة – مصر، 2003 [د ط]،ص16.

(4)ينظر اللّغات في القرآن: رواية ابن حسنون بإسناده إلى ابن عبّاس، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان الطبعة الثّالثة، 1398هـ، ص2 وما يليها، يقصد المؤلّف بمصطلح اللّغات لهجات العربيّة..

(5) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: أبو منصور الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، القاهرة . مصر، (د.ط)، 1389هـ/1969م، ص11.

(6) (أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعاميّة): عبد المحسن بن فراج القحطاني ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. المملكة العربية السعودية، 82/1.

(7) (الازدواج اللغوي بين الفصيحة والعاميّة وعلاجه): عبد الرحمن بن محمد القاعود، ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. المملكة العربية السعودية، 194/1.

(8)اللغة العربية وتحديات العصر: ريمون الطحان ودنيز بيطار الطحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1984م، ص39-40.

(9) تكملة المعاجم العربية: رينهارد دوزي ترجمة محمد سليم النعيمي الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان الطبعة الأولى 1432هـ/2011م 14/1

(10)الدولة العثمانية كانت تحترم اللغة العربية بحكم اعتناق ساستها لدين الإسلام غير أنها لم توظفها بوصفها اللغة الأصل لوجود اللغة العصملية التي تعكس هوية الانتماء التركي

(11) وضع اللسان العربي في الجزائر: عمار طالبي أعمال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2009م، ص98}

(12)الهوية ولغة التعليم في البلاد العربية محمود أحمد السيد مطبوعات مجمع اللغة العربية ديمشق سوريا الطبعة الأولى 1434هـ/2013م ص19

(13) تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1962): أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر- الجزائر،2007 م، 3/ 322.

[14]المصدر نفسه 8/13-14

[15]المصدر نفسه: 6/207-208،330

(16) وضع اللسان العربي في الجزائر: عمار طالبي ص18

[17]معجم اللّسانيات،: جورج مونان وآخرون؛ ترجمة جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر الطبعة الأولى 2012م ص140-175

[18]وضع اللسان العربي في الجزائر عمار طالبي ص19

ثبت المصادروالمراجع

- أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعاميّة): عبد المحسن بن فراج القحطاني ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. المملكة العربية السعودية/

-الازدواج اللغوي بين الفصيحة والعاميّة وعلاجه): عبد الرحمن بن محمد القاعود، ندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في المرحلة الجامعيّة (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. المملكة العربية السعودية.

-تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1962): أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر- الجزائر،2007 م.

-تكملة المعاجم العربية: رينهارد دوزي ترجمة محمد سليم النعيمي الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان ط1 1432 ه/2011م.

-في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة – مصر، 2003 [د ط].

-لسان العرب: إبن منظور دار صادر، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى،2000م.

-اللّغات في القرآن: رواية ابن حسنون بإسناده إلى ابن عبّاس، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ط3 1398ه

-اللغة العربية وتحديات العصر: ريمون الطحان ودنيز بيطار الطحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.

-معجم اللّسانيات،: جورج مونان وآخرون؛ ترجمة جمال حضري،مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر الطبعة ط1 2012م.

-المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: أبو منصور الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب القاهرة 1969م.

-المنجد في اللغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون دار المشرق، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،2000م.

-وضع اللسان العربي في الجزائر: عمار طالبي أعمال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2009م.

-الهوية ولغة التعليم في البلاد العربية محمود أحمد السيد مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق سوريا ط1 ، 1434ه/2013م